# The Word "Mankind" and its Synonymous Designations in Al-Raghib Al-Isfahani (502 A.H) And Al-Sabzwari (1414 A.H): A Semantic Study of Quranic Vocabulary

Talib Hamad Jaki AlJayashi
Taleb.Hamad1102a@coart.uobaghdad.edu.iq
Prof. Iyad Muhammad Ali AlArnaouti (PhD)
eyad.mohammed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad - College of Arts
Department of Arabic Language

**DOI:** https://doi.org/10.31973/aj.v1i147.4116

## Abstract:

This research is concerned with the singular indication of man, the origin of his creation, upbringing, and the names associated with him. The creation of man is considered a miracle, like the miracle of the creation of the heavens and the earth; what is in them and what is between them. God Almighty did not create him as an abstract mind only, nor a luminous spirit, nor a soul, nor a body on his own, but rather he created him as a body, spirit, soul, and mind. So he defined for him the frameworks of thinking and conscience, and showed him the limits of his body and the controls of his mind and soul, so he proceeded with all this to think, eat, love and hate, and distinguish the bad from the good, and made him aware of the secrets of the body and the power in it that moves it or stops it if he wants to.

Hence the discourse of the Holy Qur'an about the mind that thinks, and about the soul to reveal its impulses and whims, so it guides it to the right path, and warns it not to slip into the quagmire of its misleading whims, about the members of the body; to control the power that God Almighty entrusted him with.

The Holy Qur'an has detailed how man was created and the stages that this great creation went through. To be the focus of other beings that God Almighty has subjected to him, and the Holy Qur'an mentioned it in many terms, some of which are specific, and some are general, benefiting the individual at times and benefiting the entire human society, male and female at other times, The meanings of these terms were distributed to include man in his physical, sensual and non-sensual condition.

**Keywords**: the Qur'an, human being, significance, Al-Isfahani, Al-Sabzwari

# مفردة الإنسان وما يرادفها بين الرّاغب الإصفهاني (ت٥٠٢هـ) والسّبزواري(ت ١٤١٤هـ) دراسة دلاليَّة في المفردات القرآنيَّة

م.م. طالب حمد جكي الجياشي
طالب دراسات عليا جامعة بغداد/ كلية الآداب / قسم اللغة العربية

أ.د. إياد محمد علي الأرناؤُوطي
جامعة بغداد/ كلية الآداب
قسم اللغة العربية

**(مُلَخَّصُ البَحث)**

يعنى هذا البحث بدلالة مفردة الإنسان وأصل خلقه ونشأته، والأسماء المتعلِّقة به؛ إذ يعدُّ خلق الإنسان معجزة كمعجزة خلق السَّماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، فلم يخلقه الله تعالى عقلاً مجرَّدًا فحسب، ولا روحًا نورانيًّا، ولا نفسًا، ولا جسدًا بمفرده، وإنَّما خلقه جسدًا وروحًا ونفسًا وعقلاً، فحدَّد له أطر التفكير والوجدان، وبيَّن له حدود جسده وضوابط عقله ونفسه، فسار بهذا كلِّه ليفكِّر، ويأكل، ويحب، ويكره، ويميِّز الخبيث من الطيب، وما فيه من قوَّة تحركه أو توقفه إذا ما أراد ذلك.

ومن هنا كان خطاب القرآن الكريم عن العقل الَّذي يفكِّر، وعن النَّفس ليكشف عن نوازعها وأهوائها فيرشدها إلى الصراط القويم، ويحذرها من أن تنزلق في مستنقع أهوائها المضلِّة، وعن أعضاء الجسد؛ ليتحكم بالقوَّة التي استودعها الله تعالى فيه.

وقد فصَّلَ القرآن الكريم كيفيَّة خلق الإنسان والمراحل التي مرَّ بها هذا الخلق العظيم؛ ليكون محورَ الكائنات الأخرى التي سخَّرها الله تعالى له، وقد ذكره القرآن الكريم بألفاظ عدة، منها ما يكون مخصَّصًا، ومنها ما يكون عامًّا، يفيد الفرد تارة ويفيد المجتمع الإنساني كلَّه من ذكر وأنثى تارة أخرى، وتوزَّعت معاني هذه الألفاظ لتشمل الإنسان بوضعه المادِّي الحسيّ وغير الحسي.

**الكلمات المفتاحية:** القرآن، الإنسان، الدلالة، الأصفهاني، السبزواري.

**المقدمة:**

أشار القرآن الكريم في مواضع مختلفة إلى الإنسان بألفاظ أخرى كلفظة عبد، وخلق، وصرَّح أيضًا بأسماء بعض عباده من أنبياء، ورسل، وأصفياء ومخلصين، وصالحين، فذكرهم بغاية الحمد والثناء. وذكر أيضًا من أوصاف غير حميدة، لمن كان كافرًا ومنافقًا وعاصيًّا ومتكبِّرًا ومستعليًّا أو متألِّهًا، فخصَّه بغاية الذم والتحقير. وهذا الكم الهائل من الألفاظ الدالَّة على الإنسان تؤكِّد أنَّ هذا الوعاء الذي خلقه الله تعالى، ليس مادَّة فحسب، بل

هو عالم كبير لا يمكنه الكشف عن كنهه وأسراره كلِّها مهما بلغ العقل من درجة النضج والتطور، إذ لا يدرك كنه تلك الحقيقة إلا خالقها، فسبحانه وتعالى عمَّا يصفون.

ولعل الأثر الذي تركه كتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢ هـ)، في جملة من المفسرين من عصور مختلفة، واعتماده في بيان دلالات بعض المفردات، هو الذي جعل الباحث أن يبحث في أثره عند السبزواري (ت١٤١٤هـ) في تفسيره (مواهب الرحمن في تفسير القرآن)؛ لبيان ما أخذه من الراغب، وما انماز به في بيان دلالة المفردة القرآنيَّة. والذي يعنى به هذا البحث بيان الراغب الأصفهاني لدلالات بعض المفردات المتعلِّقة بالإنسان وخلقه ونشأته، وما يرادفه من تسميات، والأثر الذي تركه عند السبزواري، وما انماز به في بيان دلالة كل مفردة قد خصَّها البحث بالدراسة.

ولغرض توزيع المفردات المتعلِّقة بهذا المخلوق على وفق حقول دلاليَّة لابدَّ من أن نخضعها لتقسيماتٍ منسجمة مع ما ترتضيه أطر البحث العلمي لهذه الدراسة، وبحسب الآتي:

**الحقل الأوَّل: مفردة الإنسان وما يرادفه من تسميات :**

**أوَّلاً: مفردة الإنسان:**

ذكر الراغب في معنى الإنسان الرأيين الكوفي والبصري، إذ إنَّه قال:" والإنسانُ قِيل سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه خُلِقَ خِلْقَةً لا قِوَامَ له إلَّا بإنسٍ بعضِهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسانُ مدَنيٌّ بالطّبعِ مِن حيثُ لا قِوَامَ لبَعضِهم إلَّا بِبعض ولا يمكنُهُ أنْ يقومَ بجميع أَسبَابه، وقيل: سُمِّيَ بذلكَ؛ لأَنَّه يأْنسُ بكُلِّ ما يألفه، وقيل: هو إفْعِلانٌ وَأصلُهُ إنسيانٌ سُمِّيَ بذلكَ ؛ لأنَّه عُهِدَ إليهِ فَنَسِيَ" (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٤٧).

وأوضح أيضًا بأنَّ الإنسَ بخِلافِ الجنِّ، وبخلافِ النُّفُورِ، وأنَّ الإنْسِيَّ منسوبٌ إلى مفردة الإنسِ، والإنسِيُّ من كلِّ شيءٍ مَا يَلِي الإنْسانَ، والوحشيُّ مَا يلي الجانب الآخرَ له، وأورد قوله تعالى:﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٤٩]، وقوله تعالى:﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦]، أي: أبصَرْتُمْ أنْسًا به، ومنه آنَسْتُ نَارًا. وأمَّا قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النُّور:٢٧]، أي: تَجِدُوا إِينَاسًا(الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٤٦).

ولم يتطرق السبزواري في ما طبع من تفسيره إلى أصل مادَّة (الإنسان) في معناها اللغوي المشار إليه آنفًا، ولكنَّه جعل معناه قبال معنى مفردة (الجن)، أو ما كان مستورًا خفيًّا (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٤/٢٩٨-٢٩٩، ٣٨٦). والواضح من قوله إن علّة تسمية الإنسان بهذا الاسم لظهوره للعيان، وهذا ما ذهب إليه جماعة من اللغويين ومنهم ابن فارس بقوله:" قالوا: الإنْسُ خلاف الجنِّ، وسُمُّوا لظهورهم. يقال: آنَسْتُ الشَّيءَ إذا رأيته" (ابن

فارس، ٢٠٠٢: ١/١٤٥). وبين السبزواري في أحد موارد تفسيره أنَّ مفردة (الإنس) تأتي بمعنى الاستئناس أيضًا (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٤/٣٩١).

والذي انماز به السبزواري من الراغب، أنَّه تحدَّث في بيان حقيقة من حقائق خلق الإنسان التكوينيَّة في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، إذ بيَّن في هذا المقام أنَّ الإنسانَ بفقر إمكانه محتاج إلى من يفيض عليه ما يوجب له السعادة، وقد خلقه الله عزَّ وجل من قوى متضادة أو متخالفة، تشوّقه إلى المشتهيات، وتبعثه إلى ارتكابها، وقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليه أن شرَّعَ له أحكامًا وسننًا لتهذيب تلك القوى، وقد جعل زمام أمورها بإرادة حكيمة تهديه إلى السعادة. وذكر أنَّ هذا إذا كان المراد بالإنسان ما هو المتعارف عليه بين عامَّة الناس. أمَّا إذا كان القصد تلك اللطيفة الرَّبانيَّة التي هي مسجد الملائكة، وغاية حركات الأفلاك، وما خلقت الدنيا والآخرة إلَّا من أجلها، فإنَّما كان ضعفه لهيمنة الجلال والجمال المطلقين عليه، وقد استغرق في دهشة الكبرياء أو العظمة التي تحضر كلَّ آنٍ في قلبه(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٨/٨٨) . هذا جاء به السبزواري في معنى مفردة الإنسان، إذ بيَّنه بعديد: الضعيف المحتاج، والعظيم الذي خلقت من أجله الأشياءُ كلُّها، والذي يبدو أنَّه لم يذكر احتمال كونه مأخوذًا من(النسيان) لاستبعاده ذلك.

ويمكن أن نذكر ما بينه العلَّامة المصطفوي بأنَّ الإنسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع، وذكر الاختلاف في اشتقاقه مع الاتفاق على زيادة النون الأخيرة فيه. وقد قال في تحقيقه:" إنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة: هو القربُ مع الظهور بعنوان الاستئناس، في مقابل النفور والوحشة والبُعد. وهذا المعنى محفوظ في جميع صيَغ مشتقَّاتها. وأمَّا ما يَنفر فهو كالوحوش والحيوان، وما لا يَظهر ولا يَستأنس فهو كالجنِّ. وأمَّا الرؤية والسَّماع: فليس مفهومًا مطلق الرؤية والسَّماع، بل بقيد الاستئناس والاختلاط. وكذلك الإنس والإنسان: فبملحوظ أنسه واختلاطه، وهذا هو الفارق بين لفظ الإنسان والبشر وآدم" (المصطفوي، ٢٠٢٠: ١/١٧٤-١٧٥). وذكر أيضًا أنّ الإنسان أصله الإنس، وهو اسم جنس زيدَت فيه الألف والنون، فيدلُّ على التشخّص وخصوصيّة زائدة، وأمَّا قولهم بأنَّ الإنسان مشتقٌّ من النَّسيان، أو أنَّ النَّاس من النوس، أو أنَّ الاستئناس بمعنى الاستئذان فهذا غير صحيح. وهو بهذا القول يوافق ما جاء به البصريون(المصطفوي، ٢٠٢٠: ١/١٧٦).

وذكرت مفردة (الإنسان) في ستةٍ وخمسين موردًا من القرآن الكريم ، وكلمة (الأنس) في أربعةَ عشرَ موردًا (عبد الباقي، ١٣٦٤هـ: ٩٣-٩٤). وذهب جماعة من الكوفيين إلى أن وزنه (إفْعَان)، وإنَّما قيل ذلك لأنَّ أصله عندهم (إنْسِيَان) على (إفْعِلان) من النِّسيان، ولمَّا كثر في كلام العرب وجرى على ألسنتهم حذفوا منه الياء التي هي لام الكلمة؛ لكثرة

الاستعمال ودليلهم على هذا الأصل، وأنَّه مأخوذٌ من النِّسْيَان، إرجاع الياء عند التصغير (أُنَيْسِيَان)، والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها. وذهب البصريون إلى أنَّ وزنه (فِعْلان)؛ لأنَّه مأخوذ من الإنس، وسمّي الإنس إنسًا لظهورهم، فيقال:(آنَسْتُ الشَّيء) إذا أبصرته، وإنَّ الهمزة فيه أصليَّة، ويجوز أن يكون مأخوذًا من الإنس، إذ إنَّه يستأنس به ولا يستوحش لما فيه ما لا يوجد في غيره من سائر الحيوان، وعلى كلا الوجهين أنَّ الألف والنون فيه زائدتان؛ ولهذا صار وزنه (فِعْلان) (الأنباري النحوي، ٢٠٠٩: ٢/٣٠٩-٣١١).

وانعكس هذا الخلاف في كتب اللغة ومعجماتها، ولكن أغلبهم ذهبوا إلى ما ذهب إليه البصريون، فقد ذكر ابن جني قولهم: إنسان؛ لأنَّه فِعْلان من الأنس، وهذا ما وجدناه عند ابن فارس، إذ إنَّه يرى أُنس الإنسان بالشيء إذا لم يكن مستوحشًا منه، وذكر الجوهري الوجهين، وبيَّن أنَّ مفردة (إنسان) تطلق على المذكَّر والمؤنَّث، فيقال للرجل: إنسان، وللمرأة: إنسان، ولا يقال لها: إنسانة، والعامَّة تقوله، وذكر أيضًا أنَّ الإنْسُ بمعنى البشر، واحده إنْسِيٌّ، وأَنَسِيٌّ أيضًا، والجمع: أناسِيُّ. وإنْ جعلته إنسانًا ثمَّ جمعته أَنَاسِيَّ، فتكون الياء عوضًا من النون. ويقال: إنسان وإنسانان وأناسيُّ (الفراهيدي، ٢٠٠٣: ١/٩٢-٩٣) (ابن جني، ٢٠١٥: ٩٣/١) (ابن فارس، ٢٠٠٢: ١٤٥/١) (الجوهري، ٢٠٠٩: ٥٨).

وقد فرَّق أبو هلال العسكري بين مفردتي (الإنْسيّ، والإنسانِ)، بكون الأوَّل يقتضي مخالفةَ الوحشيّ، والذي يدلُّ على ذلك أصل المفردة، وهو (الأُنْس) خلافُ الوَحْشَةِ. وأمَّا الإنسانُ فيقتضي مخالفته البهيمةَ، ويدلُّ على ذلك اشتقاق الإنسان من النِّسيان، وأصله (إنْسِيان)، ولذلك يقال في تصغيره: أُنَيْسِيَان، فهو إنسان؛ لأنَّه ينسى ما علمه، وأمَّا البهيمة فلأنَّها قد أبهمت على العلم والفهم، وهي بهذا خلاف الإنسان (العسكري، ٢٠٢٠: ٤٩٣-٤٩٤) ، ومن هذا يظهر أنَّ أبا هلال قد اعتمد الرأي الكوفي في أصل اشتقاق الإنسان.

**ثانيًا: ما يرادف مفردة الإنسان:**

وقد وردت مفردة (الإنسان) في القرآن الكريم لتعطي دلالات متعدِّدة، فقد اختلفت معانيها على وفق السياق الذي وردت فيه، وتأتي للدلالة على آدم (عليه السلام)، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦]. وتأتي اسم جنس، أي: اسمًا عامًّا، ومنه قوله تعالى:﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، فهو هنا لفظ عام لا يدلُّ على شخصٍ بعينه. وتأتي أيضًا مفردة (بشر) بمعنى الإنسان الذي هو آدم (عليه السلام)، نحو قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر:٢٨]. وعلى وفق هذا لابد أن نخص بعض الأسماء التي ترادف تسمية الإنسان في الاستعمال وهي: (ابن آدم، والبشر، والنَّاس).

**١- الآدميُّ (ابن آدم):**

قال الراغب في أصل المادَّة ومعناها:" آدم: أبُو البَشَرِ، قيلَ: سُمِّيَ بذلِكَ لكونِ جَسَدِهِ مِن أَدِيمِ الأَرضِ، وَقيلَ لِسُمْرَةٍ في لَوْنِهِ، يقال رَجلٌ آدَمٌ نحو أسمَر، وقيل: سُمِّيَ بذلِكَ لِكَونِهِ مِنْ عَنَاصِرَ مُخْتَلِفَةٍ، وقُوَى مُتَفَرِّقَةٍ، كما قال تعالى:﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان:٢]، ويقال: جعلتُ فلانًا أُدْمَةَ أَهْلِي أي: خَلَطْتُهُ بِهِمْ "(الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٢٧-٢٨). وذكر أيضًا أنَّه سُمِّيَ بذلك لما طُيِّبَ بِهِ مِنَ الرُّوحِ المَنفُوخ فيه المذكور في قولهِ تعالى:﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، وَجَعَلَ له العقلَ والفِهمَ والرَّوِيَّةَ التي فُضِّل بها على غيره، وأرجع سبب التسمية أيضًا من قولهم الإدام: ما يطيبُ به الطَّعام. وكذلك إلى الألفة، وذكر ما جاء من الحديث:(لو نَظَرْتَ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرىَ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا) (الترمذي، ٢٠١٥: (في أبواب النكاح: باب :٥، حديث : ١٠٨٧: ٢٢٨). أي: يُؤَلَّفَ وَيَطِيبَ (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٢٨).

ولم يختلف السبزواري في بيان معنى المفردة وأصل اشتقاقها عمَّا جاء به الراغب ومن سبقه من اللغويين والمفسرين إلَّا في تفصيل بعض الأمور المتعلقة بآدم، فقد بين أنَّ المراد بـ (آدم) هو أبو البشر الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بهذا الاسم، وهذا عين ما ذكره الراغب، ولكن الذي انماز به السبزواري، كون الاسم عربيًّا أم غير عربي، إذ إنَّه قال:" ولفظ (آدم) سواء كان عربيًّا – من الأدمة بمعنى السمرة، أو من أديم الأرض وهي ظاهرها- أو غير عربي، سهلٌ في النطق، وذلك يكشف عن وجود الأنس بين ذريته، ولعلَّه لذلك سُمِّيَ إنسانًا؛ لأنّ الأنس من طبيعته وفي جبلّته، أو لكونه وسطًا بين الإفراط والتفريط، كما أنَّ السمرة وسطٌ بين السواد المحض والبياض كذلك"(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٢١٤/١). ثم ذكر أنَّ ظاهر الأمر في إطلاق هذا الاسم عليه، كان من الله عزَّ وجل من حين الخلقة، لا من حين النزول إلى الأرض ، فهو باسمه وجسمه وروحه مضاف إلى الله تبارك وتعالى إضافة خاصَّة (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٢١٤/١، ١٨٧/١١)، وما نلمسه من تفسير السبزواري أنَّه لا فرق عنده إن كان الاسم عربيًّا أم غير عربي بقدر خفته وسهولة لفظه.

وقد ذكر العلَّامة المصطفوي أنَّ كلمة (آدم) عربيَّة على أفعَل، وهي مأخوذة من العبريَّة والسِّريانيَّة بتغيير مختصَر وتصرُّف وتعريب. وذكر أيضًا أن ما يقوى في النظر في هذه الكلمة أنَّها قد أُطلقت أوَّلًا بلحاظ معناها الوصفيّ لا بعنوان العَلَمِيَّة، ثمَّ جعلت علمًا له (عليه السلام) بالغلبة، وإنَّ إطلاقها في القرآن الكريم واقع في مواردٍ تقتضي الإشارة إلى فطرته الأصليَّة السليمة الصافية، وخلقته الطاهرة الخالصة، إذ إنَّها تعد أوَّل كلمة أطلقت عليه بعد قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيْفَة﴾ [البقرة:٣٠]، ويعد هذا الأمر بخلاف مفردة

البشر والإنسان، إذ كان إطلاقهما عليه بلحاظ عرضيَّة ثانويَّة بتناسب المادَّتين(المصطفوي، ٢٠٢٠: ٥٧-٥٩).

وقد وردت مفردة (آدم) في خمسة وعشرين موضعًا من القرآن الكريم(عبد الباقي، ١٣٦٤هـ: ٢٤-٢٥). وقد يأتي الإنسان بمعنى آدم كما ذكرنا سابقًا، وقيل سُمِّي آدم (عليه السلام) ؛ لأنَّه خُلِقَ من أَدَمة الأرض، وقيل: بل من أَدَمةٍ جعلت فيه، والأُدمة في النَّاس شَرْبةٌ من سواد، وذكر لمادة (أدم) أصلٌ واحد، وهو الموافقة والملاءمة. والأدَمة أحسن ملاءمة للَّحم من البشرة ، ولذلك سُمّي آدم؛ لأنَّه أخذ من أدمة الأرض. وأمَّا اللون الآدَم فلأنَّه الأغلبُ على بني آدم. وهناك من يقول: أديم الأرض وأَدَمَتُها وجهها (الفراهيدي، ٢٠٠٣: ١/٦١) (ابن فارس، ٢٠٠٢: ١/٧١-٧٢). وذكر ابن منظور أنَّ الإنسان قد يأتي بمعنى آدم، ذكر قول الشاعر:[(*)١]

أَقَلُّ بَنو الإنسانِ حين عَمَدْتُمُ        إلى مَن يُثير الجنَّ وهي هجودُ

٢- **(البشر)** :

قال الراغب:" البَشَرَةُ ظاهِرُ الجِلْدِ والأَدَمَةُ باطِنُه،... وجمعها بشَرٌ وأَبْشارٌ، وعُبِّرَ عن الإِنْسَانِ بِالبشرِ اعتبارًا بظهور جِلْدِهِ مِنَ الشعَرِ بِخلافِ الحيواناتِ التي عليها الصُّوف أو الشعرُ أو الوَبَرُ، واسْتَوَى في لَفْظِ البَشَر الواحِدُ والجمْعُ وثُنِّيَ، ... كُلُّ مَوضِعٍ اعْتُبِرَ مِنَ الإِنْسَانِ جُثَّتُهُ وظَاهِرُهُ بِلَفْظِ البَشَر" (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٧١-٧٢). وفي قوله تعالى:﴿إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، بيَّن أنَّ فيها تنبيهًا لتساوي الناس في البشريَّةِ وإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بمَا يَخْتَصُّونَ بهِ مِنَ المَعَارف الجليلة والأعمال الجميلة؛ ولذلك قال بعده: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ تنبيهًا أنّه بذلك تميَّزتُ عنهم(الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٧٢).

وأمَّا السبزواري فقد قال:" البشر لفظٌ يرادف الإنسان، ويطلق على الواحد والجمع، ذكرًا وأُنثى؛ لأنَّه بمنزلة المصدر. وإنَّما سُمّي بشرًا لظهور بشرته، وعدم سترها بشيء"(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٦/٨٨، ٥/٣٥٠). وهذا ما قاله اللغويون من قبل ولا سيما الراغب، ولكنَّ الذي ميَّز السبزواري أنَّه أعطى علَّة استعمال اللفظ للمفرد وللجمع كونه بمنزلة المصدر .

وفي قوله تعالى:﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّن خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨]، فقد بين أنَّ من الأمور التي احتجَّ الله عزَّ وجلَّ بها على من يدَّعون أنَّهم أبناؤه، الردَّ عليهم بما هم معترفون به؛ لأنَّهم لا يستطيعون إنكار كونهم من البشر، وليس لهم مزيَّة على غيرهم ممَّن كان من جنسهم، وهذا الدليل يتضمن نفي البنوَّة عنهم مطلقًا؛ لأنَّ البشر لا يصلح أن يكون ابنًا لله تعالى، لإمكان صدور القبيح

[(*)١] البيت لم ينسب إلى شاعرٍ معين ، (ابن منظور، دون تاريخ: ٦/١٠) مادة (أنس).

منه، فإذا ادَّعوا بنوَّتهم له جلَّ شأنه، فينبغي ألَّا يصدر منهم ذلك ولا يؤاخذوا على ما كانوا فاعلين(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١١/١١١-١١٢).

وما قاله العسكري في هذا المعنى: "إنَّ قولنا(البَشَرُ) يقتضي حُسنَ الهيئة، وذلك أنَّه مشتقٌّ مِن (البِشَارَةِ)، وهي حُسْنُ الهيئة... فسُمِّيَ النَّاسُ (بَشَرًا)؛ لأنَّهم أحسنُ الحيوان هيئةً. ويجوز أن يُقال: إنَّ قولنا (بَشَرٌ) يقتضي الظهورَ، وسُمُّوا (بَشَرًا) لظهور شأنهم، ومنه قيل لظاهر الجلد (بَشَرَة) " (العسكري، ٢٠٢٠: ٤٩٨) (المصطفوي، ٢٠٢٠: ١/٢٩٧)، فقد أرجع سبب التسمية إلى حسن الهيئة ومنها سمي ظاهر الجلد (بَشَرَة) لحسن ظاهرها وهو بهذا لم يخالف اللغويين في أصل التسمية من البشرة، وإن زاد في تفاصيل ذلك الأصل.

وأرجع المصطفوي أصل المادة إلى الانبساط المخصوص الطبيعي، والطلاقة في السيماء لوجوههم تكوينًا، إذ إنَّه قال:" ويمكن أن يقال أنَّ البُشر حالة طبيعيَّة للإنسان من الانبساط، وهي قبل التبسّم. وبهذه الحالة يمتاز الإنسان في الظاهر عن سائر الحيوانات. فالبَشَر كحَسَن صفة مشبَّهة وهو مَن كان منبسطًا طَلِقًا تكوينًا، ثمَّ صار اسمًا لنوع الإنسان"(المصطفوي، ٢٠٢٠: ١/٢٩٧).

وقد جاءت مفردة (بشر) في سبعة وثلاثين موردًا من القرآن الكريم، وهي تعني الإنسان الواحد ذكرًا كان أو أُنثى، ويكون أيضًا للجمع، فيقال: هو بشرٌ، وهي بشرٌ، وهم بشر. وقد يأتي بصيغة المثنى، نحو قوله تعالى:﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، والبَشَرَةُ والبَشَرُ: ظاهرُ جلدِ الإنسانِ. وَبَشَرَةُ الأرضِ: ما ظهر من نباتها (الأزهري، ١٩٦٤: ١١/٣٨٥) (الجوهري، ٢٠٠٩: ٩٥-٩٦) (عبد الباقي، ١٣٦٤هـ: ١٢٠-١٢١).

**٣- النَّاس:**

قال الراغب في مادَّة (نوس): " النَّاسُ قيلَ: أَصْلُهُ أناسٌ فَحُذِفَ فاؤُهُ لَمَّا أُدْخِلَ عليه الأَلِفُ واللامُ، وقِيلَ قُلِبَ مِنْ نَسِيَ، وَأَصْلُهُ إنْسِيَانٌ على إفْعَلان، وقِيلَ: أَصْلُهُ مِن ناسَ يَنُوسُ إذَا اضْطَرَبَ،..." (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٦٦٤). فنجده قد ذكر عدَّة من الأقوال في أصل التسمية، ولم يرجح أحدها. وقال أيضًا في المراد من هذه المفردة :" والناسَ قد يُذْكَرُ ويُرادُ به الفُضَلاءُ دونَ مَنْ يتناولُهُ اسمُ النَّاسِ تَجَوُّزًا، وذلك إذا اعتُبِرَ معنى الإنْسانِيَّةِ، وهو وجود الفضلِ والذِّكرِ وسائرِ الأَخلاقِ الحَمِيدَةِ، والمعانِي المُخْتَصَّةِ به، فإنَّ كُلَّ شيءٍ عُدِمَ فِعْلُهُ المُخْتَصُّ به لا يَكَادُ يَسْتَحِقُّ اسمَهُ كاليدِ فإنَّها إذا عَدِمَتْ فِعْلَهَا الخاصَّ بها فإطلاقُ اليدِ عليها كإطلاقها على يَدِ السَّريرِ ورجلِهِ" (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٦٦٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٣]، بين الراغب أنَّ معناه: كما يَفعلُ مَنْ وُجِدَ فيه معنى الإنسانيَّة، ولم يكن القصدُ بالإنسانِ عينًا واحِدًا بل هو المعنَى الذي

يحمله اللفظ. وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[النساء:٥٤]، فيحتمل أن يكون القصد مَنْ وُجِدَ فيه معنَى الإِنْسَانِيَّة أيَّ إنسان كان، ويحتمل أن يقصد به النَّوع (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٦٦٤).

وما نجده عند السبزواري أنَّه قد تحدَّث عن أصل تلك المفردة ومعناها بحسب استعمالاتها والسياق الذي هي فيه ، ففي تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [ البقرة:١٣]، قال: " النَّاس والإنسان والبشر ألفاظ مترادفة، معنى لهذا الحيوان الناطق المستوي القامة، الذي يتفاوت أفراده بين أوج الكمال، وأدنى مرتبة الحضيض "(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١/١٢٩).

وذكر في مورد آخر من تفسيره أنَّ لفظ النَّاس قد جاء في ما يقرب من مئتين وخمسين آية، وأصل معناه من اضطراب، وهو اسم جنس له أنواع كثيرة، تُعرف بالقرائن المحفوفة بالكلام، ومع عدمها يرجع إلى العموم. ومادَّة (الناس) ممَّا اختلف فيها أهل اللغة في مبدأ اشتقاقها، فقيل: إنَّه أناس، وقيل: إنَّه أنوس، وقيل: إنَّه إنسان. ثم ذكر أنَّه كيف ما كان، فهو معروف، والمراد به الأفراد المجتمعون من بني آدم، وهو مورد حكايات الله تعالى، ومورد دعوة الأنبياء، لا حدَّ لمقصده ومسعاه ما كان لله وإلى الله عزَّ وجل، ولا غاية لمنتهاه، لبقائه ببقاء الله سبحانه (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٣/٣٢، ٢٧٧).

وفي قوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ [النساء:١٠٥]، قال: " والنَّاس: يشمل جميع الأفراد المؤمن وغيره، والبرّ والفاجر، وإنَّه أَعمّ الإنس والجنَّ، ولكن غلب استعماله في الإنس، وهو جمع إنس؛ لأنّهم يونسون، وأصله أُناس أُدخل عليه اللام. وقيل: اسمٌ وضع للجميع كالرهط والقوم، واحده إنسان من غير لفظه"(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٩/٢٥٣).

والحقيقة في استعمال كلمة(الناس) في جماعة من الأُنس والجن اختلاف بين علماء اللغة والمفسرين، فقد ذكر الفراء في ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس:٦]، أنَّ مفردة (الناس) هاهنا قد وقعت على الجنة وعلى الناس، كقولك: يوسوس في صدور الناس جنتهم وناسهم، وأورد ما قاله بعض العرب أنَّه جاء قوم من الجنِّ فوقفوا، فقيل لهم: من أنتم؟ فأجابوا: أناسٌ من الجن، وذكر أيضًا أنَّ الله تعالى قد جعل النفر من الجن كما جعله من الناس، وكذلك وقعت تسمية الرجال من الجن والإنس، والله أعلم (الفراء، ٢٠١٦: ٣/١٨٩).

ونجد الزمخشري لا يوافق الفراء ومن ذهب مذهبه في أنَّ اسم الناس ينطلق على الجِنّة، وإنْ استدلوا بنفر ورجال. إذ قال:" وما أحقّه؛ لأنَّ الجن سموا(جنًّا) لاجتنانهم، الناس(ناسًا) لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرًا، ولو كان يقع على القبيلين، وصح ذلك وثبت: لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن وبعده عن التصنع. وأجود منه أن يراد بالناس:

الناسي، ثم يبيَّن بالجِنَّةِ والناس؛ لأنَّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حقِّ الله عزَّ وجل" (الزمخشري، ٢٠١٥: ٨١٩/٤). ويرى ابن القيّم(ت٧٥١هـ) أنَّ مفردة (الناس) مختصَّة في الإنسان من دون غيره، ويضعِّف أنْ تستعمل لنفرٍ من الجنِّ ويذكر وجوهًا لتضعيف ذلك (ابن القيم، دون تاريخ: ٦١٥). وقد صنف السبزواري المراد من مفردة(الناس) الواردة في القرآن الكريم بحسب السياقات التي وردت فيها والقرينة الدالَّة إلى أصناف متعددة، وهذا ما انماز به، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

١- في قوله تعالى:﴿يَعْصِمَكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، بين أنَّ المراد من مفردة (الناس) ما وجد فيه معنى الإنسانيَّة، مع قطع النظر عن الخصوصيَّات التكوينيَّة منها كالذكورة والأُنوثة، أو الاكتسابيَّة كالعلم والغنى وغير ذلك، أي: إنَّ المراد هنا هو المعنى العام الذي يشمل كلَّ مَن دخل في الإسلام، حتى من لم يستقر الإيمان في قلبه، فيدخل المؤمن والمنافق والذي في قلبه مرض، والذين اختلطوا في ظاهر الإسلام؛ لأنَّ الخوف إذا وقع يكون من عامَّتهم، ولا موجب لتخصيص النَّاس بالكافرين أو المشركين فحسب(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٨/١٢-١٩، ٢١٠/١٠)، وهذا المعنى قد أشار له الراغب ولكن ليس بهذا التفصيل.

٢ -وذكر أن مفردة الناس لا تنطبق على غير الجماعة إلَّا بوجود القرينة الدالَّة على إرادة الواحد. ففي قوله تعالى:﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، ذكر أنَّ المراد باللفظ الأول من (الناس) هم الخاذلون المثبطون للعزيمة، وهم الذين أشاعوا خبر اجتماع العدوّ؛ ليخذلوا المؤمنين عن القتال. وأمَّا اللفظ الثاني فالمراد به المشركون. والظاهر من الآية الكريمة أنَّهم في الموردينِ كليهما جماعة لا واحد. ولكنهم اختلفوا في المراد من اللفظ الأوَّل، فقد قيل: إنَّه نعيم بن مسعود الأشجعي قبل أن يسلم، وبهذا يكون اللفظ الأوَّل من(النَّاس) عامًّا ويراد به الخاص. وقيل: إنَّه ركب من قريش، وقيل غير ذلك(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٧٢/٧، ١٨/١٢)، والَّذي يحدِّد المراد بحسب ما يرى الباحث معرفة سبب النزول فضلًا عن السياق والقرينة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء:٥٤]، ذكر أنَّ المراد من (الناس) هنا هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ما يدلُّ عليه ذيل الآية المباركة على أنَّ ما أطلق عليه النَّاس من آل إبراهيم وهو النبي محمد (صلى الله عليه وآله). وذكر أيضًا أنَّه يمكن شمول الآية الكريمة للمؤمنين؛ لأنَّ رسول الله كان واسطة الفيض عليهم، بما آتاه الله عزَّ وجل من الفضل العظيم، وهو الكتاب، والمعارف الربوبيَّة والكمالات المعنويَّة، فكان حسدهم عليهم لمنعهم من ذلك الفضل وحصره فيهم غرورًا وبخلًا به (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٣١٧/٨).

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٣]، ذكر المراد بها الذين استفادوا من الإنسانيَّة التي وجدت فيهم فأدركوا الحقَّ وميَّزوا الباطل(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٩/١٢).

٤- المراد من الناس في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٩٩]، مَن يصلح للاقتداء والائتمام به، والعالِمِينَ بحدود الحجِّ وأحكامه، والعاملين بها، وهم منحصرون في خليل الرحمن وذرّيَّته، القائمين مقامه، العاملين بشريعته (عليه السلام)؛ لأنَّه أوَّل هذه السلسلة، وإنَّ أئمَّة الحقِّ من ذرّيَّته آخرها، والعلماء العاملون الذين يتلونهم في المنزلة علمًا وعملًا، وهم حفظة هذه الشريعة المقدَّسة(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٨٢/٣-١٨٣).

٥- وذكر أنَّه يمكن أن تكون القرينة دالَّة على أنَّ المراد من لفظ (النَّاس) هم الأَدنون منهم، الذين يحتاج في تمييزهم إلى اعتبار شيء زائد من الفضائل الإنسانيَّة التي توجب المزيد من أصل النوع، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠] (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٩/١٢).

٦- ويمكن أن يراد من (النَّاس): هم الكافرون والعصاة، نحو قوله تعالى:﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُها النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤] (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١٥٧/١، ٤٧/٩).

٧- وفي قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة:٢٠٤] ، المراد من النَّاس هنا الَّذِين يظهرون الإيمان ويدّعون صفاءَ السَّريرة، وحسن الصّحبةِ، ويوهمون بالزهد عن الدُّنيا والعزوف عن ملاذِّهَا، ويدَّعون توافق ظاهرهم مع الباطن، وأنَّ ذلك ما في قلوبهم، ويعجبك براعتهم في الكلام، وحسن آدائه(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٢٣٠/٣-٢٣١)، وهذا لعمري عين النّفاق.

وفي حديث ذي صلة فقد فرق أبو هلال العسكري بين مفردة (النَّاس) و(الخلق)، كون الأولى من الإنس خاصَّة، وهم جماعة لا واحدَ لها من لفظها، وذكر أنَّ أصله عند جماعة من اللغويين (أُناس) فلمَّا سكنت الهمزة أُدغمت اللام، وقيل: (الناس) لغةٌ مفردةٌ، فاشتقاقها من (النَّوْس) وهو الحركة، ناسَ يَنُوسُ نَوسًا، إذا تحرك، و(الأُناس) لغة أخرى. ثم بيَّن أنَّه لو كان أصل (الناس) من (أُناس)، لقيل في تصغيره۞أُنَيِّس)، وإنَّما يقال: (نُوَيْس)، فاشتقاق (أُنَاس) من (الأُنْس)، وهو خلاف الوَحْشَةِ؛ لأنَّ بعضهم يأنس ببعض. والخَلق مصدرٌ سُمِّيَ به المخلوقات كافَّة من الجماد والحيوان والنبات(العسكري، ٢٠٢٠: ٤٩٣). وأمَّا تفريقه بين النَّاس والبشر، فالثاني يقتضي حَسنَ الهيئة، ويجوز أن يقال: إنَّه يقتضي الظهور لظهور الشأن، وأمَّا (النَّاس) فإنَّه يقتضي النَّوْسِ وهو الحركة، والنَّاس جمعٌ لا واحد له من لفظه، والبشر واحدٌ وجَمْعٌ، ويثنَّى فيقال: (بَشَرَانِ)، ولم يسمع أنَّ لفظه يُجْمَعُ (العسكري، ٢٠٢٠: ٤٩٨).

ويتَّضح ممَّا سبق ذكره أنَّه مع وجود الترادف في استعمال ألفاظ (الإنسان، والإنسي، والبشر، والناس)، إلَّا أنَّه لا يصحُّ وضع لفظٍ محل لفظٍ في السياق القرآني، لأنَّ الله قد وظَّف لكل مفردة من هذه الألفاظ توظيفًا معيَّنًا دقيقًا في دلالته، إذ جعل لكل مفردة منها سياقًا خاصًّا ودلالة مختلفة. وتؤكِّد هذا الأمر الدكتورة عائشة بنت الشاطئ ، فهي تؤكِّد اختلاف دلالة الإنسان في القرآن الكريم عن الإنسي، وإنْ كان بينهما ملحظ مشترك من الأصل اللغوي لمادَّة(أنس) التي هي نقيض التوحش. وإنَّما يستعمل لفظ (الإنس) ليقابل مفردة(الجن) الَّذِي يدلُّ على التوحش والخفاء. أمَّا الإنسان، فليس مناط إنسانيَّته، فيما يستقرأ من الآيات البيِّنَات، مجرد كونه منتميًا إلى فصيلة الإنس، كما أنَّه ليس مجرد بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. وإنَّما الإنسانيَّة فيه تعني الارتقاء إلى الدرجة التي تؤهله لخلافة الأرض، واحتمال تبعاتِ ذلك التكليف، وأمانة الإنسان؛ لأنَّه هو المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز، مع كلِّ ما يُلابسُ ذلك من تعرّضٍ للابتلاء بالخير أو الشر، وفتنة الغرور بما يشعر من قوَّة وطاقة، وما يزدهي به من مكانة، حتى ينسى وهو في نشوة زهوه وكبريائه وغروره، أنَّه المخلوق الضعيف، وبملامح صورته وخصائص إنسانيَّته يجتلي التمييز عن كونه مجرَّد فردٍ من البشر أو الإنس. وهو أيضًا غير مفردة (الناس)، كون الأخير لفظًا يأتي في النَّص القرآني بدلالة واضحة على اسم الجنس لهذه السلالةِ الآدميَّة، أو هذا النَّوع من الكائنات، في عمومه المطلق (بنت الشاطئ، ١٩٩٩: ١٧-٢١). والمتتبع لقول بنت الشاطئ يجدها تمضي في تدبر الآيات الواردة في مفردة الإنسان بوجه خاص، اجتلاء لملامح صورته وخصائصه التي تميَّز بها عن مجرد كونه فردًا من النوع البشري أو الإنس. فلو تدبرنا السياقات التي وردة فيها هذه المفردة لوجدناها تشير إلى كيفية خلقه وإلى اختصاصه بالعلم، وتحذِّر مما يتورط فيه من طغيان، حين يتمادى به الغرور فيرى أنَّه استغنى عن خالقه، فآيات خلق الإنسان، جاءت كلُّها في سياق العظة والاعتبار، لافتة إلى أطوار الحنين البشري التي يدركها النَّاس بأيسر ما يلحظ، والذي يبدو أنَّ في هذه الآيات العمد الواضح إلى الاستدلال بها على قدرة الله تعالى على البعث، ومنها قوله تعالى:﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥]، وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[عبس:١٧]، وغير ذلك من نصوص مباركة تحرص على تذكير الإنسان بهوانه وضعفه، كبحًا لجماح غروره؛ كيلا يتجاوز قدره فيطغى ويستكبر (بنت الشاطئ، ١٩٩٩: ٢١-٢٢).

وجاءت مفردة (الناس) في مئتين وأربعين موردًا من القرآن الكرم، وأصلها: أُناس، إلَّا أنَّ الألف حذفت من الأُناس فصارت: ناسًا، وذكر الجوهري أنَّ (النَّاس): قد يكون من الإنسِ، ومن الجنِّ، وأصله أُناسٌ فخفف، ولم يجعلوا الألف واللام فيه عوضًا من الهمزة المحذوفة؛

لأنَّه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوَّض منه في (الأناس). والذي يدل عليه السياق القرآني أنَّ مفردة (الناس) مختصة بجنس الآدميين من دون غيرهم من الأجناس الأخرى ولاسيما الجن، ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس:٦]، فقد فرق بين الجنسين، وهناك شواهد قرآنية أخرى في ذلك، وقد ذكرت بنت الشاطئ أنَّ هذا اللفظ ورد في النَّص القرآني نحو مئتين وأربعين مرَّة، بدلالة واضحة على اسم الجنس لهذه السلالةِ الآدميَّة، أو هذا النوع من الكائنات، في عمومه المطلق. والناتُ بالتاء لغة في الناس على البدل الشاذ، وقد يؤنَّث لفظ (الناس) على معنى القبيلة أو الطائفة (الفراهيدي، ٢٠٠٣: ٢٧٦/٤) (الجوهري، ٢٠٠٩: ١١٧٧) (ابن منظور، دون تاريخ: ١٠/٦-١١) (بنت الشاطئ، ١٩٩٩: ١٧) (عبد الباقي، ١٣٦٤هـ: ٧٢٦-٧٢٩).

**الحقل الثاني: مفردات خلق الإنسان ونشأته:**

علمنا أنَّ آدم في النَّص القرآني هو الإنسان الأوَّل الَّذي بدأ منه طور البشريَّة وقد أشار القرآن الكريم إلى الأطوار التي مرَّ بها خلق الإنسان، إذ قال تعالى في محكم كتابه الكريم:﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، وقد لفت الله عزَّ وجلَّ إلى مرحلة زمنية، كان الإنسان فيها شيئًا لكنَّه لم يكن مذكورًا، فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]، وذكر الكيفيَّة التي خلق بها آدم (عليه السلام) من ترابٍ، فشهد ذلك على أنَّ مادَّة خلق الإنسان ترابيَّة، وهو ما لا نزاع فيه(بنت الشاطئ، ١٩٩٩: ٣١). والتُّرَابُ والتُّرْبُ واحدٌ في اللغة، وهو ما نَعُمَ من أديم الأرض، وإذا أَنَّثُوا قالوا: تُرْبَةٌ، وأرضٌ طيِّبَةُ التُّرْبَةِ، أي: خِلْقةُ تُرابِها، ويجمع على أتربةٍ(الفراهيدي،٢٠٠٣: ١٨٢/١)(ابن منظور، دون تاريخ: ٢٧٧/١). وقال الراغب:" والترابُ الأرضُ نفسها،...وريحٌ تُرَبَةٌ تأتي بالتراب،... وبارحٌ تَرِبٌ رِيحٌ فيها تُرَابٌ"(الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ١٠٣).

وهذا ما كان في بداية خلق الإنسان المتمثِّلة بآدم (عليه السلام)، ثمَّ أشار الخالق عزَّ وجل إلى مراحل تطوّر خلق الإنسان الأخرى، والتدرج الذي مرَّت به تلك المراحل في نصوص قرآنية عديدة، ومنها قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج:٥].

وقد بيَّن الراغب أنَّ الخلقَ أصلُهُ التقديرُ المُستقيمُ، ويستعمل في إبْدَاعِ الشَّيءِ من غير أصلٍ ولا احْتِذَاءٍ، ويستعمل أيضًا في إيجَادِ الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ، نحو قوله تعالى:﴿خَلَقَكُم مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النِّساء: ١]، ثم تحدَّث في مراحل خلق الإنسان، التي يمكن أن نوردها كالآتي(الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٢١٢، ٢٢٩، ٣٧٤، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٩٠، ٥٩١، ٦١٥، ٦٤٨، ٦٨٠):

١- وفي قوله تعالى:﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[الرحمن:١٤]، ذكر الراغب أنَّ الصلصال: الطِّينُ الجافُّ، وقيل: الصَّلْصَالُ المُنْتَنُ مِنَ الطِّينِ مِنْ قولِهم: صَلَّ اللَّحْمُ، وكان أصلُه صَلَّالٌ فَقُلِبَتْ إحدَى اللَّامَيْنِ.

٢- في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [النحل:٤] . وبين المعنى المقصود بالنُّطْفَةِ: الماءُ الصَّافي، ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرجُل.

٣- بيَّن أيضًا معنى العَلَق: التَشَبُّثُ بالشَّيءِ، وذكر له معاني عدّة، وما يناسب المقام، أنَّ العلقَ الدَّم الجامد، ومنه العَلَقَةُ التي يكونُ منها الوَلدُ، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العَلق: ٢]، وَعَلِقَتِ الْمَرْأَةُ حَبِلَتْ.

٤- وذكر المضْغَةَ كونها القِطْعَةُ من اللَّحْمِ قَدْرَ ما يُمْضَغُ، ولم يَنْضَجْ، وجُعِلَ اسمًا للحالةِ التي يَنْتَهي إليها الجَنِينُ بعدَ العَلَقَةِ، وذكر قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

٥- وبين أنَّ العِظَامَ: جمعٌ للعَظْمِ، نحو قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:١٤].

٦- واللَّحْمُ جَمْعُه: لِحامٌ وَلُحومٌ ولُحمَانٌ، فيقال: لَحَمْتُ اللَّحْمَ عن العَظْمِ قَشَرْتُهُ.

وقد أشار السبزواري إلى هذه المراحل التي تظهر كيفية خلق الإنسان، وبحسب النصوص القرآنية التي تحمل تلك المفردات، ولم يختلف عن الراغب في بيان معنى الخلق وتصنيفه، وإنَّما كان أثر الراغب واضحًا. فقد بين السبزواري أنَّ الخلق بمعنى التقدير المستقيم، ويستعمل في الإبداع أيضًا، وفي إيجاد شيءٍ من شيءٍ (السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ١/٢٠١، ٢/٢٩٠).

وهذا عين ما ذكره الراغب فضلًا عن ذكره للآيات القرآنية التي ذكرها الراغب في هذا المقام. لكنَّه انماز عن الراغب في بعض التفصيلات، ومنها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾[الأنعام:٢]، فقد بيَّن أنَّ في هذا النَّص استئنافٍ لبيان أصل خلق الإنسان، والتنويه ببعض خصوصيَّات كفره المتعلّق بالبعث والمعاد، غفلةً منه عن كمال قدرة الله تعالى، وتذكيرًا له بما هو أدلُّ وأتمّ(السبزواري الموسوي، ٢٠١٨: ٢/٢٩٠، ١٣/١٥-١٦).

**الخاتمة:**

يعدُّ الاهتمام بالدلالة القرآنيَّة من أهمّ الدراسات اللغويَّة والعلميَّة في القرآن الكريم؛ لاحتواء الكثير من ألفاظه المباركة على إشارات علميَّة، ممَّا دفع مجموعة من الباحثين، إلى البحث في دلالة تلك الألفاظ، بقصد الكشف عن قضايا لسانيَّة تناولها العلم الحديث في القرآن الكريم. فصار لزامًا على كل باحث في هذا المجال أن يقف وقفة تأمل على ما أنجزه الراغب من اهتمام بدلالة ألفاظ القرآن، وبحثه لمعانيها اللغويَّة، وإشاراته العلميَّة التي أظهرها

في كتابه (المفردات)، والإفادة منها في شتى المجالات الاجتماعيَّة والثقافيَّة واللغويَّة. ولعلَّ قيمة المضمون المعرفي في القرآن الكريم، هي التي دفعت الراغب إلى تأليف هذا الكتاب، إذ إنَّه لم يكن باحثًا فيه عن دلالة الألفاظ الغريبة حسب، وإنَّما قد تعدَّى ذلك إلى البحث في أغلب مفردات القرآن الكريم إلَّا ما غفل عنها، ولذلك يظهر أنَّ كتاب (المفردات) من الكتب المهمَّة التي تضمَّنت العلوم المعرفيَّة واللغوية، المرتبطة بمضمون الخطاب القرآني، وقد أظهر هذه العلوم عالمٌ لغويٌّ ومفسرٌ، لم تكن له شهرة كمن سبقه من العلماء، لولا وجود هذا الكتاب الذي كشف عن مدى سعة علم صاحبه، ومعارفه، ودقَّة تحليله للقضايا الدلاليَّة، ممَّا جعل الكثير من أقرانه، ومن جاء بعده من العلماء أن يعد هذا الكتاب ركيزته الأساس في مجال بحثه الدلالي، أو تفسيره لمفردات القرآن الكريم، وصولًا إلى السبزواري الذي درس لغة القرآن بعقل قرآني، وذوق عرفاني، وأفق موسوعي، وقد نازل اللغويين، والمفسرين السابقين، بكل شجاعة وجرأة نادرة، وصلت به إلى حدِّ تخطئة بعضهم، أو جميعهم أحيانًا، أو التشكيك بما تسالموا عليه، إلَّا أنَّه أظهر تأثرًا واضحًا بمفردات الراغب، فأخذ منه بشكل واسع، حتى صار يصرِّح باسمه في مقامات كثيرة من تفسيره(مواهب الرحمن)، وقد وافقه كثيرًا في بيانه لمعاني جلِّ المفردات القرآنية، ولكنَّه انماز بإظهار معاني بعض المفردات التي غفل الراغب عنها، وتوسع في بعضها الآخر لبيان دلالتها على أتمِّ وجه، معتمدًا في ذلك على ما تركته علوم العربيَّة من أثر ملموس في الكشف عن أسرار القرآن الكريم، متَّبعًا في ذلك منهجًا فريدًا من نوعه، ركَّز بوساطته في عمق النَّص، وفي ضوءِ مسارٍ بحثيٍّ رصين في التعليل والتحليل. ويمكن أن نبيِّن أبرز ما توافق به السبزواري في تفسيره، مع الراغب في مفرداته، لبيان دلالة مفردة الإنسان وما يرادفه من تسميات بما يأتي:

١- كلاهما يجمع في تحديده الدلالة بين مفاهيم متعددة، منها ما يتعلَّق باللغة، ومنها بلاغي، ومنها تفسيري، ومنها منطقي، أو ما كان شرعيًّا.

٢- كلاهما قد ركَّز في ضبطه لمفاهيم معاني المفردات على السياق اللغوي أو المقامي أو الاجتماعي أو الثقافي، وحتى العاطفي الانفعالي؛ لكون السياق عنصرًا مهمًّا في حصر دلالات الألفاظ.

٣- كلاهما قد بيَّن أنَّ للدلالة الصوتيَّة، والصرفيَّة، والنحويَّة، دورًا في إظهار الفروق، والمساحات الدلاليَّة بين المفردات القرآنيَّة، إذ يتضح من ذلك أنَّ هذه الدلالات متداخلة فيما بينها؛ لتشكيل حيِّزًا لغويًّا للدلالة القرآنيَّة.

٤- وافق السبزواري ما جاء به الراغب في مفردات خلق الإنسان، ونشأته تمام الموافقة، بل كان أثر الراغب ظاهرًا في قوله، وقد وصل إلى حدّ المطابقة، فضلا عن ذكر اسم الراغب أحيانًا.

ولكنَّ طبيعة التفسير القرآني جعلت السبزواري ينماز عن الراغب بجملة من الأمور، ومنها:

١- كثيرًا ما نجد الراغب يترك دلالة بعض المفردات متأرجحة بين عددٍ من الآراء، من دون أنْ يرجِّح رأيًا على الآخر، بخلاف ما كان عليه السبزواري، إذ إنَّه يذكر أقوال بعض العلماء في دلالة المفردة، ثمَّ يرجِّح أحدها، أو ينفرد في إظهار معنى جديد قد يخالف جميع ما تقدَّم به غيره.

٢- عادة ما نجد ميل الراغب إلى الإيجاز في إظهار معاني بعض المفردات القرآنيَّة، إذ يقتصر على ذكر سياقات، من دون الأخرى ممَّا يسبب في ضياع المعاني التي تؤول إليها هذه المفردات في السياقات التي لم يتم ذكرها، والتي تظهر معاني جديدة غير التي أظهرها الراغب، وهذا ما لم نجده عند السبزواري الذي تعدَّى المجال القرآني إلى مجال الأحاديث الشريفة والأقوال الكريمة والأشعار، للوقوف على معنى المفردة، بشكل أوسع ممَّا كان عليه الراغب.

٣- تطرق الراغب إلى أصل مادَّة مفردة الإنسان في معناها اللغوي، وبيَّن أنَّ الإنس بخلاف الجن، وبخلاف النفور، أمَّا السبزواري فإنَّه لم يبيّن أصل المادَّة، واكتفى بأن يجعل مفردة الإنسان بخلاف مفردة الجن، أو ما كان مستورًا خفيًّا، والظاهر من قوله أنَّ علَّة تسميته؛ لظهوره للعيان.

٤- وافق السبزواري ما جاء به الراغب في بيان دلالة مفردة (آدم)، ولكنَّه توسع في ذكر أصل الاسم لكونه عربيًّا من الأدمة بمعنى السمرة، أو من أديم الأرض، وهي ظاهرها. أو كان غير عربي فهو سهل في النطق، ولا فرق عنده في ذلك. وظاهر الأمر في إطلاقه من الله تعالى من حين الخلقة لا من حين النزول إلى الأرض.

٥- وافق السبزواري الراغب في بيان معنى مفردة البشر، إذ إنَّه سمِّي بذلك لظهوره بشرته، وعدم سترها بشيء، بخلاف سائر الحيوانات الأخرى التي يغطِّيها الشعر أو الصوف أو الوبر.

٦- ذكر الراغب أقوالًا عدَّة في أصل إطلاق مفردة (الناس). وأمَّا السبزواري فقد رجَّح أن يكون أصلها مأخوذًا من الاضطراب، أو كان أصلها (أُناس) أُدخل عليه اللام، وقد وضعت للجمع كالرهط، والقوم، واحده إنسان من غير لفظه.

**المصادر والمراجع:**

- **القرآن الكريم.**


١. آية الله العظمى السيد عبد الأعلى (ت١٤١٤هـ) السبزواري الموسوي. (٢٠١٨). مواهب الرحمن في تفسير القرآن (المجلد ٥). كربلاء المقدسة، العراق: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

٢. أبو الحسن أحمد بن زكريا ابن فارس. (٢٠٠٢). معجم مقاييس اللغة. (تحقيق: عبد السلام هارون، المحرر) دمشق، سوريا: اتحاد الكتَّاب العرب.

٣. أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت٢٠٧هـ) الفراء. (٢٠١٦). معاني القرآن (المجلد ٢). (قدم له وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.

٤. أبو عيسى محمد بن عيسى بين سورة ابن الضَّحَّاك (ت٢٧٩هـ) الترمذي. (٢٠١٥). سنن الترمذي (المجلد ٢). (تحقيق: رائد بن أبي علفة، المحرر) الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الحضارة للنشر والتوزيع.

٥. أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) ابن جني. (٢٠١٥). الخصائص (المجلد ١). القاهرة، مصر: المكتبة الموفقية.

٦. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ابن منظور. (دون تاريخ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٧. أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ) الراغب الأصفهاني. (٢٠٠٩). المفردات في غريب القرآن (المجلد ١). (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٨. أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) الأزهري. (١٩٦٤). تهذيب اللغة. (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (٢٠٠٩). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، مرتب ترتيباً ألفبائيًّا وفق أوائل الحروف. (راجعه: د. محمد محمد تامر وآخرون، المحرر) القاهرة، مصر: دار الحديث.

١٠. أبو هلال (ت٣٩٥هـ) العسكري. (٢٠٢٠). الفروق في اللغة (المجلد ١). (تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

١١. الإمام ابن القيم(ت٧٥١هـ). (دون تاريخ). التفسير القيِّم. (جمعه: محمد أويس التداوي. تحقيق: محمد حامد الفقي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

١٢. الإمام أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٨هـ) الزمخشري. (٢٠١٥). تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (المجلد ١). (تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

١٣. الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) الفراهيدي. (٢٠٠٣). كتاب العين مرتباً على حروف المعجم. (تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

١٤. الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت٥٧٧هـ) الأنباري النحوي. (٢٠٠٩). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين. القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير.

١٥. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. (١٩٩٩). القرآن وقضايا الإنسان. القاهرة، مصر: دار المعارف.

١٦. المحقق المفسر العلامة المصطفوي. (٢٠٢٠). التحقيق في كلمات القرآن الكريم (المجلد ٦). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

١٧. محمد فؤاد عبد الباقي. (١٣٦٤هـ). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف. القاهرة: دار الحديث– دار الكتب المصرية.